بهرا
الضياء

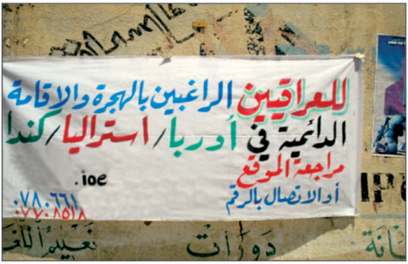
للعراقيين الراغبين بالهجرة والاقامة
الدائمية في أدربا/ استراليا/ كندا
مراجعة الموقع
.ioe
أو الاتصال بالرقم
٠٧٨٠٦٦١
٠٧٧٠٨٥١٨
دورات
تعليم اللغ

اصوات مشبوهة ودعوات تحريض مدانة

حميد الموسوي

في الوقت الذي تشهد فيه الاوضاع الامنية في العراق استقرارا ملحوظا وانحساراً شبه تام للعمليات الارهابية، واندحاراً مخزياً لشراذم القاعدة، وهزيمة منكرة لايتام الدكتاتورية ومن تضررت مصالحهم بسقوطها، وفي الوقت الذي يعود فيه الصفاء والود العراقي المعهود للنفوس ليغسل ضغائن زرعتها افكار وافدة مغرضة بعد انطفاء حرائق الحقد والخراب التي اشعلتها دوائر معروفة بكيدها للعراق واهله. وفي الوقت الذي استنكرت فيه الطوائف المسيحية بكنائسها واديرتها ومثقفيها وحركتها السياسية - تصريحات الرئيس الفرنسي الداعية الى هجرة المسيحيين الى فرنسا - وفي الوقت الذي تشهد فيه جميع مدن ومحافظات العراق عودة متواصلة للعوائل التي هاجرت او هجرت -تحت وطأة ظروف تداعيات سقوط السلطة السابقة واختلاط الاوراق وغياب الوعي- مستبشرة بانجلاء الغمة وزوال الضباب واندحار المؤامرة وافتضاحها، ومستفيدة من الجهود الاستثنائية التي تبذلها الحكومة سواءاً على الصعيد الامني او الدعم المالي حيث تنتشر قوات الحرس الوطني والشرطة الوطنية ورجال الصحوات في كل شارع وزقاق من جانب، ومن جانب اخر تقوم وزارة الهجرة والمهجرين بتقديم مبالغ الدعم المالي وتعويض الاضرار لكل عائلة تعرضت للتهجير كما تدفع مبالغ مجزية لمن شغل داراً لعائلة مهجرة جهلا او تحريضاً تشجيعاً لترك تلك الدار والاستفادة من المبلغ لاستئجار دار مناسبة حيث يكفيه مبلغ الاعانة لدفع ايجار ستة اشهر. كذلك تقوم المنظمات الانسانية ومنظمات المجتمع المدني بلعب دور كبير في ايصال المساعدات المالية والعينية لهذه العوائل.

وفي الوقت الذي تعود فيه عوائل غادرت العراق الى دول الجوار ودول اوربية وعربية مختلفة قبل وبعد سقوط السلطة السابقة.

في هذا الوقت الذي نحن احوج ماتكون فيه الى لم الشمل وتوحيد الجهود ببث الطمأنينة والتفاؤل والمحبة في النفوس من اجل اعادة بناء العراق وتضميد جراحه وايقاف نزيف شعبه، في هذا الوقت تتصاعد اصوات منكرة بفحيح يقطر سماً زعافاً، وتتعالى دعوات مشبوهة حاثة ومشجعة العراقيين عامة ومركزة على شريحة لمكون اصيل خاصة، واضعة كل التسهيلات ومهيئة انسب الظروف لتهجيرهم الى دول اوربا وكندا وامريكا واستراليا! تنفيذاً لمخططات تآمرية خبيثة بعيدة الغايات، وتحقيقا لمطامع واحداث عنصرية توسعية معروفة.

ولاول وهلة حسبنا الامر اشاعة مغرضة ونكتة باردة عتيقة لكننا فوجئنا بلافتات عريضة طويلة تشوه جدراننا عراقية مرغمة وخاصة في محافظة كركوك!. ودهشنا لسكوت الدولة وتغاضي امنها القومي وامنها الوطني عن هذا التحدي الصارخ وبهذا الحجم وبهذه الوقاحة!!. واخذتنا الظنون والشكوك وقلنا ربما.. او احتمال.. او قد يجوز!!.

ولكي نتثبت من الامر راجعنا الموقع الالكتروني المثبت على اللافتة المشؤومة فوجدنا الامر "بحق وحقيق وليس لعب عيال" على رأي اخواننا المصريين. وادرجنا المعلومات كما هي مع اللافتة ليطلع عليها العراقيون الغيارى الاصلاء ويقولوا كلمتهم!. لا، الكلمة وحدها لا تفي ولا تكفي اذا لم تكن مقرونة بقرار برلماني شجاع وتصديق وتنفيذ حكومي جريء.

والاّ فسنكون قد شاركنا بتقديم دعاية مجانية ناجحة لاصحاب هذا المشروع الهدام وساهمنا بترويج بضاعتهم الكاسدة الفاسدة وسيقولون لنا:

"عاشت ايدك سيد والف رحمة على والديكم جماعة بهرا"!.

ادرجنا المعلومات كما هي مع اللافتة ليطلع عليها العراقيون الغيارى الاصلاء ويقولوا كلمتهم!. لا، الكلمة وحدها لا تفي ولا تكفي اذا لم تكن مقرونة بقرار برلماني شجاع وتصديق وتنفيذ حكومي جريء.

العنف والتطرف الحالي في المجتمع العراقي

نتيجة لتأثيرات أجندة خارجية.. أم وضع طارئ في طريقه للزوال ؟

نبيل شانو

العنف هو من الأمور السلبية في اي مجتمع، وفي حال استمراره لفترات طويلة فأنه يخلق مجتمعا مريضاً لا يؤمن سوى بالتطرف وفي كافة اوجهه وصنوفه، ومما يؤسف له أن العنف والتطرف اصبحا والى حد بعيد مرض العصر وفي كثير من بقاع العالم، ويسعى من ورائهما تحقيق اهداف وسياسات خاصة عن طريق القوة والاكراه، والمجتمع العراقي كجزء من الحالة الانسانية الاكبر، يؤثر ويتأثر بالمستجدات الفكرية الاخرى سلبا أو إيجابا، فخلال عصرنا الراهن لم يعد بمستطاع احد اخفاء المفاهيم والأفكار الجديدة، من التي تدخل في صلب حياة الناس وتؤثر فيهم، وذلك نتيجة للثورة المعلوماتية الهائلة وعولمة الأفكار وتطور وسائل الاتصال السمعي والمرئي ووسائط النقل، ذلك التطور الذي لم يعد بالإمكان حصره أو إخفاؤه.

والعراق -قدر تعلق الأمر في موضوع العنف والتطرف- لم يكن سابقا ساحة لهذين المفهومين وضمن أي مستوى، أو تحت اي عنوان مجتمعي أو سياسي، شاهدنا على ذلك أنه وخلال تاريخه الحديث لم يكن لديه احزاب أو منظمات متطرفة بالمعنى الشائع للكلمة "من التي تحمل صفة الدين والقومية وحتى المذهبية كشعار لعملها"، بل كانت الاحزاب والمنظمات العاملة في الساحة وطنية من ناحية العمل والهدف، حيث يعكس أعضائها حالة التعددية المجتمعية، تلك التعددية التي لم تكن تمثل مشكلة حينها، حيث كان يقتصر الولاء على المجتمع الاكبر كخيمة تبسط بظلالها على الجميع دون استثناء، عليه فقد كان العراق وبحق بلد "الوسطية" المنفتحة على الآخر، وهذا ما كان يميزه عن بلدان المنطقة الاخرى - باستثناء نموذج أو نموذجين هنا وهناك- بصورة عامة.

ان العراق اليوم وهو في طور الانتقال الى عهد جديد لم تتضح ملامحه بعد، محاصر بقرارات مجلس الأمن الدولي وتحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة، تجعله بالتالي عرضة وساحة لمخططات الفعل ورد الفعل من قبل الجهات الفاعلة "دولية وإقليمية" والراغبة في التدخل في شؤونه الداخلية، يساعدها في ذلك وضع أمني غير مستقر ساهمت في تفاقمه عقود من المغامرات العبثية، وخير مثال على ذلك الصدام بين القوى الخارجية على الأرض العراقية هو ما يجري من تصفية الحسابات بين امريكا وإيران، مع ما يعنيه ذلك من تسويق لأجندات خارجية، تلك الاجندات التي من الطبيعي أن تعتمد العنف والتطرف في عملها، كل لصالح أهدافه الخاصة سواء القريبة منها أو البعيدة المدى، والوقود هو الشعب العراقي بصورة عامة كأدوات وضحايا.

اما ما يخص الداخل العراقي والعلاقة بين الفرقاء داخل المجتمع الواحد، فقد ظهرت وبشكل لافت تيارات وأحزاب يصعب حصرها تعمل تحت يافطات دينية ومذهبية وقومية من ناحية الفكر والممارسة في وضع لم يعهده البلد سابقاً "كما أسلفنا"، لكنها في غالبها الاعم تشترك في مفهوم واحد وهو التطرف، حيث حب السلطة لديها اصبح مرضا مستشرياً، واستخدام العنف في بعض الأحيان كوسيلة لتحقيق غاياتها، فهناك من يسعى الى كسب ودّ البسطاء وتأييدهم بدغدغة المشاعر بشعارات دينية ومذهبية، وإسنادها بفتاوى تدفع المواطن لاعلان تأييده لمجموعة بعينها دون غيرها حتى لو لم تحمل تلك المجموعة من الوسائل والآليات الصحيحة والواقعية للتعامل مع المواقع المتقدمة على الساحة السياسية!، فالمهم هو الوصول الى تلك المواقع وبالتالي تحقيق الكسب "المادي" والاعلامي لادامة زخم تلك المجموعة في الحياة العامة والرسمية.

وهناك من يسوق العنف كشعار لمقاتلة "المحتل" أو من يتدخل في الشأن الداخلي من دول الجوار، كونه اقصر الطرق وانجعها في الحصول على التأييد الشعبي، ومن ثم التأثير على الشعوب المجاورة لتضخ الى الشارع العراقي بمن آمن بشعاراتها كقنابل موقوتة تلهب الوضع غير المستقر اصلا ، وكذلك من اشكال التطرف الاخرى وهو التطرف العرقي أو القومي "الشوفيني"، حيث تحولت الحالة من تعايش سلمي مبني على التسامح وعدم التفريق الى حالة متاكلة وصراع للتشبث بالمكاسب المتحققة بعد عملية التغيير، هذه المكونات التي افرزت مسؤولين عمقوا من التطرف لدى القاعدة لغايات تصب في مصالحهم ابتداءاً، ومن ثم تثبيت أقدامهم كرعاة "سرمديين" لتلك المكونات، فكان من نتائج ذلك أن حصلت حالة التقوقع في اماكن ومدن بعينها، بل وحتى شارع بعينه!، فأصبحت هناك صعوبة في التواصل بين المكونات والضروري لفتح صفحة جديدة للقاء والحوار بقلب مفتوح، والاتفاق على أن ما جرى منذ خمس أعوام لا يصب في مصلحة أحد على حساب آخر.

ان ما يؤيد صحة ما اوردناه اعلاه هو فشل أو في احسن الأحوال جمود عملية المصالحة الوطنية التي دعا ويدعو اليها الجميع، فعلى الرغم من عديد النداءات والندوات والمؤتمرات واللقاءات، إلا أن المتابع يشعر بأن الأغلبية قد آثرت المشاركة "البروتوكولية" من باب رفع العتب دون وجود نيّة صادقة في نسيان الماضي المؤلم، ذلك النسيان الذي يمثل حجر الزاوية في المصالحة للوصول الى التسامح والعيش المشترك وبالتالي نبذ العنف والتطرف.

في ختام مقالنا هذا نقول أن العراق يتكون من فسيفساء ديني وعرقي ومذهبي وثقافي متعدد، ولأجل ذلك فأن العنف والتطرف سيؤدي الى وقف تقدمه العلمي والاقتصادي والمعرفي اللازم لتقدمه وتطوره، وبالتأكيد سوف يودي بالبنية التحتية المتهالكة اصلا ناهيك عن عدم بناء وعمل ما يوفر الراحة للمواطن البسيط، بل أن استمرار هذا العنف والتطرف سيؤدي "لا سامح الله" بمستقبله ومستقبل أهله وشعبه، ولن يستثنى أحد من هذه النتيجة الكارثية، كون الجميع سيجد نفسه وقد تحول إلى وقود للآخرين شاؤوا أم أبوا، فكم نحن بأمس الحاجة في وقتنا الحاضر الى المحبة والتسامح والتفاهم.

المراحل التاريخية لتطور المجتمع البشري..

المرحلة الرأسمالية

بقلم خوشابا سولاقا

ابسط تعريف للنظام الراسمالي هو انه يسمى المجتمع راسماليا حين يملك الافراد وسائل الانتاج فيه، كالارض والصناعات، ويكون الانتاج فيه لمصلحة هؤلاء الملاك الافراد.. وهناك في النظام الراسمالي راسمالية فردية، وراسمالية دولة.

وتعتمد اساسا الراسمالية على الملكية الفردية لوسائل الانتاج الصناعي والزراعي وعلى السوق الحرة وعلى الانتاج من اجل الربح. ويحاول الاقتصاديون الراسماليون وضع نظرية شاملة لتفسير نمو الراسمالية، ولكن كارل ماركس كان اخطر من وضعوا اسسا نظرية لتحليل نمو الراسمالية تحليلا علميا دقيقا وفسر آليات عمل وتطور الراسمالية وهو من قال ان النظام الراسمالي نظام مغلق ومتناقض ومحكوم عليه بالانهيار عندما يصل الصراع بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج ذروتها عندها تحصل الثورة العمالية العالمية وتمهد الطريق الى ولادة مجتمع خال من الطبقات وتبدأ مرحلة النظام الاشتراكي العالمي.

وقد تطورت الراسمالية لانها لم تنشأ على الصورة المعاصرة، بل ظهرت تجارية تعتمد على التبادل وبيع السلع في الحضارات التجارية. ثم تطورت الراسمالية بعد ظهور الصناعة والطاقة التجارية واستغلال الالة في النظام الانتاجي لزيادة ونمو الانتاج كما ونوعا بعد الثورة الصناعية في البلدان المتقدمة، لتصبح راسمالية صناعية، حيث كان مُلاك وسائل الانتاج في البداية مجرد افراد يملكون الصناعات، ثم ظهرت بعد عصر استغلال الالة الجماعات الراسمالية اي الشركات لتحل محل اغلب الملاك الافراد في نهاية القرن التاسع عشر، وقد مهد ظهور نظام الشركات المساهمة للتركيز الشديد لراس المال، والاتفاقات والاحتكارات التي اصبحت لها قوة ضخمة هائلة للتحكم في الانتاج والسيطرة على الاسواق والاستهلاك. ثم تطورت الراسمالية فاصبحت راسمالية عالمية اي تملك الاموال وتقرض الصناعات عن طريق البنوك والاحتكارات واصبح المال يباع كذلك بالفائدة. والماركسيون هم واضعو النظرية القائلة بان الاستعمار ليس سوى مرحلة عليا من مراحل نمو الراسمالية، بل هي اعلى مرحلة في نمو الراسمالية، لان الاستعمار ليس سوى هجوم على الاسواق والمواد الخام، وان الحربين العالميتين ليستا الا حربين لاعادة توزيع الاسواق العالمية بين الشركاء الراسماليين.

وهذه المرحلة من الراسمالية يطلق عليها بالمرحلة الامبريالية واوجز تعريف للامبريالية انها مرحلة الاحتكار في تاريخ تطور الراسمالية، ولكي يتسنى ادراك المضمون الحقيقي الذي تنطوي عليه هذه المرحلة انه يتضمن المعالم او المظاهر التالية:

اولا: تركز الانتاج وراس المال الى الدرجة التي تبعث على قيام الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على الحياة الاقتصادية عالميا وتلعب فيها الدور الحاسم.

ثانيا: يحصل في هذه المرحلة امتزاج راس المال المصرفي براس المال الصناعي مما ترتب عليه ظهور قلة قليلة من رجال المال تتحكم في مجمل النواحي للنشاط الاقتصادي العالمي.

ثالثا: القيام بتصدير راس المال الى الخارج. بحيث يصبح اكثر اهمية من تصدير السلع، وهذا التصدير لفائض راس المال القومي يتخذ صورة استثمارات مباشرة تنصب في الغالب على الصناعات الاستخراجية او انتاج الخامات او انشاء بعض الخدمات كالكهرباء ومشاريع المياه والاتصالات، كما يتخذ تصدير راس المال القومي الى الخارج صورة قروض مصحوبة بفوائد عالية.

رابعا: قيام الاحتكارات الدولية التي تقسم العالم بمصادر ثرواته واسواقه فيما بينها وتعقد الاتفاقات التي سرعان ما تنقض او تغير ميزان بين هذه الاحتكارات ذاتها.

خامسا: اتمام التقسيم الاقليمي للعالم بين اكبر واقوى الدول الراسمالية.

ان التطورات التي طرات على الراسمالية كانت لها آثار واضحة على سياسات الدول الراسمالية وبنائها الداخلي فانشأت الجيوش الهائلة وبنت البحريات الضخمة واشعلت نيران الروح الوطنية العدوانية المتعصبة واستخدمت في هذا السبيل مختلف اشكال الدعاية. واصبح التسلح ضرورة تعرض اتجاه الاستهلاك نحو الانخفاض وعمل الصراع الدولي من اجل المصالح الراسمالية على تحويل الانظار بعيدا عن الصراع الطبقي في داخل المجتمعات الراسمالية. وبعد ان اتمت الدول الراسمالية تقسيم العالم فيما بينها دخلت في مرحلة صراع فيما بينها وكانت من نتائج ذلك الصراع نشوب الحروب الكونية الاولى والثانية، وهكذا نجد ان الامبريالية هي وليدة الاحتكار الراسمالي وان الحروب تكون وليدا حتميا للامبريالية. والامبريالية بحد ذاتها هي عقبة ضخمة في طريق التنمية الاقتصادية الحقيقية في البلدان المتاخرة والمتخلفة لانها تعمل على ابقائها في حالة التبعية لها ومصادرة ارادتها الحرة المستقلة وبالتالي سد الفرص امام المدخرات والاستثمارات الوطنية.

ويرى المؤرخون للفكر السياسي والاقتصادي ان معنى الراسمالية قد تختلف من بلد الى اخر وهكذا تختلف ظروف كل بلد في طريقة ودرجة نمو الراسمالية. وتعاني الدول المتخلفة التي كانت مستعمرة من ضعف الراسمالية الوطنية، لانها تزاحم راسمالية اجنبية قوية، ولانها من جهة اخرى لا تملك الموارد ولا الخبرة لمواصلة المنافسة مع الراسمالية الاجنبية، ولهذا السبب تعجز الراسمالية الوطنية في هذه البلدان من تحقيق الثورة الصناعية فيها كما انها تعجز من تحقيق العدالة القانونية والاقتصادية والاجتماعية اي العدالة بكل اشكالها.

وقد سعت الدولة الراسمالية بكل ما تملكه من الامكانيات الهائلة بمختلف اشكالها في محاولة منها لتاجيل الازمات الدورية التي تصيب النظام الراسمالي، كما ان كثيراً من الدول الراسمالية بدات تطبق نظام التخطيط من اجل رفع درجة التنمية، وحتى تخلص النظام الراسمالي من المتناقضات المهلكة او على الاقل تخفيف آثارها السلبية عليه.

من الخطأ الظن ان في الدول الراسمالية لا يوجد قطاع عام تملكه الدولة، لان الاتجاه الجديد في الدول الراسمالية هو التخلي ولو بنسبة قليلة عن الراسمالية الفردية الليبرالية وتشجيع نصيب راسمالية الدولة، هكذا نشأت ظاهرة راسمالية الدولة، وهي تنشأ حين تملك الدولة جزءا من وسائل الانتاج.

وقد اعتبر الاشتراكيون ان راسمالية الدولة قد تكون في المرحلة الاولى خطوة تقدمية لانها قد تفسح الطريق للتحول الى الاشتراكية، لان راسمالية الدولة خطوة الى الامام بالنسبة للراسمالية الفردية، ولكنهم في ذات الوقت يرون خطر بقاء راسمالية الدولة حين تبقى علاقات الانتاج واجور العمال، وساعات العمل، والقيم الانتاجية كما كانت في ظل الراسمالية الفردية.

ان من ايجابيات النظام الراسمالي ان مفكري الراسمالية استفادوا كثيراً من نظريات كارل ماركس حول جوهر الصراع بين القوى الانتاجية ومالكي وسائل الانتاج، مما ساعدهم ذلك الى اجراء اصلاحات جذرية داخل هيكل النظام الراسمالي باتجاه تحقيق الكثير من الانجازات لصالح القوى الانتاجية، بحيث تم تحييد طبيعة الصراع بين القوى الانتاجية ومالكي وسائل الانتاج وظهور علاقات انتاج جديدة اكثر توازنا وتقليص الهوة بين الطرفين، وبذلك استطاعت الراسمالية من تحويل هدف نضال الطبقة العاملة لتدمير وتغيير النظام الراسمالي بالوسائل الثورية واقامة دول ديكتاتورية البروليتارية كما توقع كارل ماركس الى نضال سلمي لتحسين مستوى المعيشة بدفع الاجور وتحسين ظروف العمل وضمان مستقبل العاملين وتوفير الضمان الاجتماعي والتامين الصحي، وهذا ما يطلق عليه في القاموس السياسي بالاشتراكية الديمقراطية داخل اطار النظام الراسمالي كما هو الحال في معظم بلدان اوروبا الغربية حاليا.

ثقافة العنف وسياسة العنفوان *

الجزء الثاني والاخير

سيار الجميل

العنف السياسي والاجتماعي: أسئلة بحاجة الى أجوبة

بلغ العنف السياسي أوجه قوته في ازمان متعددة في تاريخ العالم، ومنه تاريخ يضم الشرق الاوسط بكل ملله ومجتمعاته وطوائفه وسكانه.. ولقد تداولت دول وحكومات وادارات وولايات على منطقتنا على امتداد التاريخ الحديث ومنذ بدايات القرن السادس عشر، فشهدنا صراعات واحداث وحروب وحصارات ووقائع يجتاحها العنف باقصى درجاته، وهي التي ورّثت المنطقة كل الويلات نتيجة طبيعية لبقايا تاريخ مضى امتلأ بالعنف والمقاتل والصراعات والمرتزقة وقطاع الطرق واللصوص والمافيات والاشقياء والفتوات والقبضايات وكل الذين استخدموا الشراسة واساليب القوة على الابرياء، والعنف من اجل الهيمنة والسطوة وفرض السلطة.. ان مجتمعات اخرى لم تكن بعيدة كل البعد عن مثل هذه المناخات التي عاشتها مجتمعاتنا، ولكنها نجحت في خلق دول ذات سيادة وقانون اولا، كما انها انتصرت للاجيال الجديدة بالاساليب التربوية التي تربوا عليها.. فنشأت اجيال تختلف تماما عن اجيال الماضي، وهذا لم يحدث في مجتمعاتنا ابدا، فالانظمة والقوانين ضعيفة ومخترقة بحيث هيمنت عليها المحسوبيات والمنسوبيات وحكم العشائر والعوائل والطوائف والملل.. فكان ان بقيت رواسب العنف سارية المفعول حتى يومنا هذا.. ولم تنفع معها كل الاساليب التربوية المتبعة في اكثر من مجتمع.. ان العنف لا تسكته الا قوة القانون وهيمنة الحق وامتصاص عوامل العنف نفسها.

تفاوت درجات العنف

لقد خاضت المجتمعات الاوربية جملة من الحروب والصراعات في ما بينها، ولكن نسبة العنف انخفضت، بل وانعدمت حتى على مستوى دول ومؤسسات، ولم يبق الا عنف افراد وجماعات ومافيات.. فما مشكلة مجتمعاتنا؟ ولماذا كان العنف ولم يزل يطبق على واقعنا السياسي والاجتماعي؟ لماذا لم يزل العنف يسود في المدارس والبيوت؟ في الازقة والارياف؟ في الشوارع والاسواق؟ لماذا لم يزل العنف يطبق على مجتمعات الطفولة وعلى النسوة؟ لماذا كان العنف ولم يزل يطبع الاحداث والوقائع الفاصلة؟ لماذا كان العنف هو المعبّر الاساسي او المترجم الحقيقي لحجم ما يختزنه اي انسان او طبقة او فئة او.. فان النتائج لا تبشّر بالخير ابدا.. خصوصا وان الظروف التي مرت بها مجتمعاتنا قد حفزتها لممارسة العنف، واوصلتها الى ذروة القسوة والارهاب.. بل واصبح العنف احد ابرز المبادئ التي تؤمن بها الملايين من البشر ازاء الحريات وافكار التلاؤم وسيادة القانون..

ان العنف بتداعياته ومتوالياته وترسباته وما يخلق من الرعب والكراهية هو أحد الأسباب الرئيسة لإخفاق مشاريع التنمية الاجتماعية والسياسية؛ اذ انه كرس واقع العنف والعنف المضاد؛ انه عندما يخسر الانسان حقوقه الطبيعية والمشروعة كانسان.. فربما يتحوّل الى ان يكبت عنفه لفترة ومن ثم يشرع بالصراع علنا بعد ان يعمل بخفية ويمارس شتى صنوف العنف. وعليه، فثمة من يجمع على انك لا يمكنك التخلص من العنف اذا احتلت ارضك ونهب مالك وهدد عرضك.. انك لا تتخلص من العنف ان اوجدت بيئة صالحة له من سياسات العنفوان.

البدائل: استراتيجية طويلة الامد

ان الاحتلالات والسيطرة وامتهان الارادة والطغيان.. كلها مولدة للعنف او للعنف المضاد.. وان الغلو والتعصب يقود الى العنف الشديد سياسيا واجتماعيا.. دينيا وطائفيا، وهذا ما نجده في الاحزاب الراديكالية اولا والاحزاب الدينية ثانيا ومن اجل اجراء تحولات اجتماعية للانتقال من ثقافة العنف وسياسة العنفوان الى ثقافة اللاعنف والتلاؤم والهدوء وسياسة الحوار. انه ينبغي الشروع بتبني استراتيجية جديدة ومستحدثة تترسخ في اي مجتمع بتقبلها لثلاثين سنة على الاقل مع تجديد مضامينها على ضوء النتائج وتطور الحياة.. استراتيجية ترسخها الدولة في اي مجتمع لا يقبل اي سبيل الا العنف.. استراتيجية تتبنى المصالح العليا قبل اية مصالح فئوية او طائفية او نخبوية او طبقية.. الخ استراتيجية تبدأ باستخدام الاعلام والميديا المعاصرة ادوات حقيقية لبث الخطاب وربط التفكير الجمعي بكل ما هو قانوني.. ناهيكم عن تربية النشء الجديد على التفكير الهادئ.. ثم تحريم الاهانات الشخصية ومنع السباب والشتائم.. وتحريم استخدام ورفع السلاح ايا كان نوعه في اي مكان وعند اي انسان.. افساح المجال لكل صاحب تعبير ورأي وافكار ان يطرحها من دون استخدام العنف العلني او السري ضد المعارضين السياسيين.. ان ما تحتاجه مجتمعاتنا بالذات هذه الايام الى ثقافة مضادة للعنف.. خصوصا ونحن نعلم ان السينما والقنوات الفضائية والانترنيت قد اصبحت وسائل وادوات لا يمكن ايقاف ادوارها الحقيقية في التدمير الاجتماعي والسياسي، بل وغدت وسائل الاتصالات كلها ادوات للعنف والعنف المضاد.. ان البديل يتمثل اساسا بثقافة الرفق والعفو والتسامح وامتصاص النقمة وسحب العنفوان ومحاصرة التوتر البارد او الجامع.. والعمل على حل مشكلات المجتمع لاقصى حد ممكن للتقليل من الاحباط والاخفاق الجماعي.. ناهيكم عن توسيع دائرة التربية والاعلام والثقافة والفن لتكون جميعا في خدمة اهداف حضارية باحترام المرأة ومعاونة الاطفال واعطاء حقوق الانسان ومنح حقوق الاقليات.. الخ

وأخيرا: الحد من تفاقم العنف

ان ثقافة العنف المضاد لا تنفع ابدا اذا لم ترافقها رؤية جديدة وخطابا مانعا.. لقد بدا العنف اليوم ثقافة رديئة ومستخدمة في الضد حتى من المعاني والرموز والاسماء وتشويه تواريخ وسير.. لقد ازيلت اليوم كل الممانعات والمحرمات ليس في السياسة حسب، بل في كل مرافق الحياة حتى الثقافية.. وكثيرا ما ارى اغتيال الرموز معنويا وادبيا واعلاميا وتشويه سمعته واقصاء اسمه مترجمين بذلك حالة عنف غاية في الغرابة. انك ان اردت استئصال العنف، فما عليك الا بتغيير نهجك او اسلوبك كي تخفف شيئا فشيئا من حالاته، والا تكون قد مشيت في طريق مسدود. انني ادرك ان واقعا مترسخا وقويا قد فرض نفسه على حياتنا، ولكن لا يمكنه ان يبقى يهيمن على وجودنا ومستقبلنا.. وخصوصا في بؤر التوتر وفي مقدمتها العراق وما يجري فيه من ازمان تحت شعارات ويافطات وعناوين لا يمكن ان تتحقق ابدا. لقد وصل الاحتدام في العنف الى درجة لا يمكن تصورها في عالمنا اليوم، وخصوصا في مناطق التوتر من عالمنا نحن، بل ولبس العنف اثواب الدين ليغدو مشروعا باسم المقدس.. فضلا عن استخدام الارهاب وسيلة من وسائل المقاومة، ومنها قتل الابرياء وتدمير الحياة والمسوغات واهية يمكن ايجاد بدائل حقيقية اقوى من العنف..

* عن موقع ايلاف